المحاضرة الحادية عشر

أنواع من العنف الأسري

عناصر المحاضرة

- **تمهيد**
- **أنواع أخرى من العنف الأسري**
- **عنف الأطفال**

تمهيد

نادراً والعكس صحيح. إنما تبرز ممارسات السلوك العنفي في الحالات التالية:

1- عدم انسجام الزوجين مزاجياً وطبقياً وتعليمياً.

2- عدم تماثل أحدهما أو كليهما لمتطلبات ومستلزمات دورهما الأسري كزوج وزوجة.

3- تأثر أحدهما بطفولته القاسية والجافه التي استخدمت العنف معه أو معها.

4- عدم شفافية التفكير وتفهم الطرف الآخر إلا من خلال استخدام الوسائل العقابية (اللفظية أو الجسدية)

5- العناد والمشاكسة والدلع وعدم الرضا كوسيلة للحصول على مكاسب مادية أو مواقف أسرية.

6- الفرق الكبير في التحصيل الدراسي عندهما.

7- النمط الجدي عند الزوج والنمط العابث عند الزوجة.

8- تأثر الزوجة بكلام الأهل والأصدقاء في تعاملها مع زوجها.

9- مبالغة الزوج في محاسبة أخطاء زوجته.

10- الفارق الكبير بين عمر الزوج والزوجة.

κнℓσD ツ

ومن أجل تمحيص ما تقدم نتساءل عن إمكانية وراثة العنف جينياً؟ أي هل السلوك العنفي موروث أم مكتسب؟

للإجابة على هذا السؤال نعول على ما جاءت به الدراسات المهتمة بالعنف الجسدي وسوء معاملة الأطفال جسدياً إذ وجدت بأن هناك نسب لا تزيد عن الثلث تؤيد حقيقية مفادها أن المعنف عند الصغر يتحول إلى عنيف عند الكبر ومتعسف في تعامله مع الآخرين، إلا أن هذه الحالة لا يمكن تعميمها على جميع الأطفال المعنفين، لأنها غير مبرهنه علمياً وأن الدراسات التي افترضت بأن الأطفال الذين تم تعنيفهم يتحولون إلى عنيفين عند الكبر، لا يمكن الأخذ بها لأن العنف سلوك مكتسب وغير موروث وليس له علاقة بالجينات، إنما قد تكون ردود فعل مضادة عند بعض الأطفال المعنفين وانتقاماً لما حصل لهم في طفولتهم، أو تعبيراً عن القساوة التي عاشوها في طفولتهم إنما هذه الحالة لا تنطبق على جميع المعنفين إذ أن قسماً منهم لا يمارس العنف فيما بعد بل يستمر في خنوعه واذعانه للأقوى منه كاستمرار لما كان يمارس عليه في طفولته أو ينسحب من المجتمع كرد فعل سلبي يمثل شكلاً آخر من أشكال العدوانية. أي العدوانية المسالمة وليس المؤذية. فالعنيف في الكبر قد يرجع عنفه للعنف الذي مورس عليه عند الصغر إلا أن ذلك لا يمكن تعميمه دائماً، إنما هو قد يكون ذلك أحياناً.

يحسن بنا أن نشير إلى تساؤل مفاده هل هناك مبالغة في التبليغ عن المعاملة السيئة للأطفال؟ في الواقع قبل ستة وأربعين عاماً أي في عام 1962 تحديداً بعد نشر دراسة كيمب وزملائه عن سوء معاملة الأطفال وضربهم والقسوة عليهم، تزامنت معها صياغة الحكومة الأمريكية قوانين تحمي الأطفال من الإساءة في معاملتهم. في الواقع هذه المبادرة الحكومية لم تأتِ عن طريق إبلاغ علماء النفس والأطباء النفسيين والمعلمين الذين يعملون مع الأطفال والعاملين في مؤسسات رعاية

استغلال الأطفال جنسياً، فقد تم وضع برامج وقائية (لتقليص حجمها وتضييق توسع تنفيذها) تم تطبيقها في مدارس الأطفال لأنها الأكثر تعرضاً وانتهاكاً واستهدافاً من قبل المستغلين لهم وتحويلهم إلى ضحايا.

إذ جرى تطبيق تعليم ونوعية الأطفال في هذه البرامج بكيفية التعامل مع الغرباء عنهم وكيفية التصرف إذا ما تم الاعتداء عليهم جنسياً من أجل تحصينهم ووقايتهم وعدم تحويلهم إلى ضحايا من قبل منحرفين يستغلون صغار السن وبساطتهم

وأنه من نافلة القول الإشارة إلى المؤشرات الحديثة التي تدل على ممارسات عنيفة تحصل داخل المجتمع وهو وجود ملاجئ خاصة بإيواء الزوجات أو البنات shelters أو مركز العناية بالأزمات اليومية care center -crisis day وبرامج التدخل الشرطوي Police inter vention programs وجماعات دعم الأبوين Parent support groups جميع هذه التنظيمات تتعامل مع أحداث العنف الأسري من خلال برامج تعالجها بعد حدوثها.

إلا أن هناك مقترحات يمكن تطبيقها في حالة الوقاية من وقوع العنف الأسري أي مقترحات استباقية للحد من تفاقم وتحجيم عدده قدمها ريتشارد جيليس وهي :

1- إلغاء المعايير التي تمجد وتحبذ العنف داخل لأسرة والمجتمع مثل إلغاء العقوبة البدنية في التنشئة الأسرية والمدرسية وحذف المشاهد التلفازية العنيفة وإلغاء عقوبة الإعلام وتعذيب المتهمين والمجرمين.

2- تقليص الضغوط الاجتماعية التي تثير العنف مثل الفقر والبطالة والتفرقة بين الجنسين وعدم توفير العلاج الطبي والتعليم المجاني والإسكان الشعبي من قبل الحكومة. جميع هذه المتغيرات تمثل ضغوطاً اجتماعية تعمل على بلورة ممارسة العنف داخل الأسرة والمجتمع.

3- جعل الأسرة تعيش وكأنها وحدة قرابية واحدة خالية من الانعزال أو الابتعاد عن علاقاتها الأسرية. أي التعاون والمحبة والتفاني الذي بدوره يمتص الضغوط النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها أفراد الأسرة أثناء تعاملهم مع أحداث الحياة الاجتماعية اليومية.

4- محاولة المساواة بين الذكر والأنثى في التعامل اليومي لأنه أكثر تأثيراً في إشعال فتيل العنف في عدم المساواة الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية.

5- أن ضرب الأفراد الذين نحبهم (مثل الزوجة أو الأبناء) يعني استخدامه كوسيلة فاعلة في التأديب والتعليم، إنما عدم ممارسة الضرب يمثل خطوة إيجابية نحو الوقاية من العنف، هذه هي المقترحات الإيجابية في الوقاية من العنف داخل الأسرة والمجتمع التي اقترحها جيليس.

KHℓσD ツ

لذا فإننا نرى أن المقترحات التي قدمها ريتشارد جيليس بعيدة المنال بسبب عدم واقعيتها بل ومثاليتها وهذا لا يخدم ولا يقدم نصيحة أو فائدة في الوقاية من استخدام العنف بين أفراد الأسرة لأن الحياة الاجتماعية في تغير مستمر وتقلب دائم، وقدرة الإنسان متفاوتة في مواجهتها أو التحكم فيها. وإزاء ذلك فإن انزلاق الفرد في استخدام العنف يكون وارداً ومحتملاً لأنه يمثل الواقعية الاجتماعية والطبيعية البشرية. وهذا ما أكد عليه جيليس في قوله أننا نجد العديد من الملاجئ والمراكز والبرامج والجماعات التي تعالج العنف الأسري كلما تقدم المجتمع الذي يضعف روابط الأسرة المتماسكة. وطالما لا يخبر الفرد (الزوجة أو الزوج أو الأبناء) عن سوء معاملتهم للسلطات الأمنية بدافع أنها مسالة خاصة أو ذات شأن داخلي- عائلي، فإن ممارستها ستكون مستمرة والوقاية منها تكون حالة فردية ذاتية لا مجتمعية ولا رسمية، وطالما المرأة والطفل ضعفاء جسمياً وعاطفياً فإن الاستغلال الجنسي لهما يكون قائماً ومستمراً لأن القوي والمستغل موجود في كل مكان وزمان وبالذات عندما يكون هناك تفاوت طبقي وعرقي وطائفي داخل المجتمع، لأنها نتاج علاقة القوي بالضعيف والغني بالفقير والمتعلم بالجاهل والحضري بالريفي، لذا فهي مشكلة قائمة دائماً تخضع للزيادة والنقصان إلى متغيرات الشعور الإنساني

جدير بذكره في هذا المقام أن الفرد الذي عاش في أسرة تمارس العنف عليه فإنه ليس بالضرورة أن يمارس هو العنف على أفراد أسرته عندما يؤسس أو ينشئ أسرة، بل يتعظ من ذلك ويقدر مشاعر العنف كرد فعل رافض لهذا السلوك الذي كان يمارس عليه، إلا إذا ظهرت في حياته ظروف قاسية وحادة تمنعه من التصرف السوي مع أفراد أسرته، عندئذ يمارس العنف الذي كان يمارس عليه من قبل والديه أو إخوته لا كاستمرار لذلك بل بسبب ظروف صعبة ألزمته وأجبرته على التصرف بعنف تجاه الأحداث والأفراد. على أن لا ننسى أن الفرد سواء أكان ذكراً أم أنثى فكلاهما يمارسان السلوك العنفي إذا واجهها أو خضع لظروف قاسية وهذا يعني أن الأنثى قد تكون عنيفة مع زوجها للدفاع عن حقوقها أو عنيفة مع أحد أبنائها بسبب جهلها أو عدم قدرتها على تنشئته تنشئة سوية، أو بسبب مبالغتها في حرصها عليه..

<u>أنواع أخرى من العنف الأسري</u>

2/ء – أنواع أخرى من العنف الأسري

سوف نتناول ثلاثة أنواع من العنف الأسري، تلك التي ليس لها اهتمام متميز من قبل الباحثين ممثلين بذلك منحاً أو انعطافاً جديداً في حقل الأسرة وعلم الإجرام وهي:

1- عنف الأطفال violence by children
2- سوء معاملة المراهقين abuse of adolescents
3- سوء معاملة الأبوين المسنين abuse of elderly parents

1- عنف الأطفال (أو الاهتمام المفقود)

نشاهد جميعاً وفي كل يوم مشاهد ومناظر أبطالها يكونون من الأطفال تصور وتعبر عن شجارهم وعراكهم ومقالبهم وصراخهم، مما باتت تمثل جزءاً من المناظر اليومية الاعتيادية لدرجة أنها لا تلفت انتباهها لنقل عنها بأنها تمثل عنفاً أو انحرافاً للسلوك، لأننا تعودنا على مشاهدتها واعتبرناها وكأنها جزء من السلوك السوي للأطفال الأسوياء، نشاهدها في ساحات المدارس والأزقة والملاعب الرياضية والحدائق العامة، يستخدم فيها الأطفال في عراكهم اللكمات والصفع والتصارع لحل نزاعاتهم وخلافاتهم بل إن الباحثين العلميين وعلماء السلوك الاجتماعي نشأوا وترعرعوا في أسر حصلت فيها نزاعات وعراك بين الأخوة ومع الأقارب، وأصبحوا آباء وأمهات ويواجهون صراعات وشجاراً بين أبنائهم لكنهم يرونه على أنه سلوك طبيعي لا اعتراض عليه، بل أن بعض الآباء يدربون أبناءهم جهلاً وليس علماً على أن يكونوا عنيفين دفاعاً عن أنفسهم. إنما الجميع يرى شجار الأطفال صادراً من قبل أطفال غير راشدين غير بالغين تعودوا على رؤيته مما جعلهم يعدونه جزءاً من الواقع المعاش وليس سلوكاً منحرفاً يستحق الانتباه إليه ومعرفة أسبابه وتقدير آثاره.

لا جرم من لفت نظر القارئ إلى بعض الأخطاء الشائعة عند الأبوين عند تنشئة أبنائهم مثل تربيتهم على السلوك العنفي وتعليمهم مفرداته اللغوية. إذ كثيراً ما يعلم الآباء أبناءهم من الذكور وهم في مرحلة الطفولة تطبيع ذهنهم بفكرة الرجولة أو القوة الغالبة وعدم التخنث والميوعة والسلوك المهزوم في المقابلة الندية مثل: أريدك أن تكون (سبع لا ضبع) أو أن تكون (ذيب أمعط، تأكل) ما تؤكل أو عدم البكاء والصراخ أو السكوت عندما لا تستطيع أن تحصل على الشيء الذي تريده بل عليك المطالبة والإصرار والإقدام وعدم التراجع، وأن لا تتحمل الإهانة والاعتداء عليك بل عليك أن تأخذ بثأرك من المعتدي عليك وأن تكون أنت الرابح لا الخاسر وأنت الفائز لا المندحر، وأنت المقدام لا المنسحب بذات الوقت يعاقب الأبناء جسدياً بالضرب عندما لا يستجيبون لأوامر الأب أو الأم بذات الوقت يوصي الأبوان بعدم استخدام العنف مع الآخرين، لكن في الآن ذاته يستخدموه مع أبنائهم عندما لا يرضخون

البرت باندورا (عالم نفس أمريكي حديث) قام بدراسة مع زملائه اختبر فيها نظرية التعلم الاجتماعي تحديداً كيف يعلم الأبوان السلوك العنفي لأبنائهم من خلال مقارنة جماعتين (ضابطة وتجريبية) في مواقفهم من العدوان. وجد باندورا أن هناك اتفاقاً بين معظم الأبوين فيما يخص تعليم أبنائه السلوك الصراعي وتعليمهم السلوك العنفي مع أقرانهم وعدم تقبلهم للاعتداء عليهم(pagelow,1984,p.343) معنى ذلك أننا نعلم أبناءنا العنف دون أن نعلم أو ننتبه إليه، ونطبع في ذاكرتهم صور العنف مثل صورة السبع الذي لا يصرع والذئب الغدار وعدم تحمل الإهانة وتجنب التسامح، بذات الوقت نسمعه عبارات تهديدية عنيفة مثل القتل والكسر والقطع ناهيك عن عبارات التوبيخ والملامة التي نوصم بها كل من لا يكون عنيفاً مع أقرانه مثل مخنث، جبان، ولية، امرأة، جرذي، أرنب، دجاجة وسواها.

الملاحظ على هؤلاء الأبناء الذين ينشأون تنشئة عنفية لا يكونون من النابهين في الأعمال المبدعة بل الأعمال العضلية والدراسات العسكرية بأسلوبها القديم، بالضبط والربط، وليس في علومها الحديثة المبينة على الاستنتاج والذكاء الحاد والإنتاج الذهني لا العضلي، وغالباً ما تكون علاقاتهم بوالديهم غير حميمة بل من النوع الآمر والمطيع أو يعيشون في أسرة مفككة في هيكلها وغالباً ما يميل هؤلاء الأبناء إلى التماثل أو التماهي مع شخصية والديهم التسلطية الآمرة في توجيهها وتربيتها، أي أسرة تميل للعقاب والحرمان في توجيه الأبناء. لذلك نرى الطفل الذي يحرمه والداه من الحاجيات الطفولية يميل إلى التصرف العنفي في اغتصاب أو سلب أو نهب ما تم حرمانه منه من قبل والديه. كذلك غالباً ما يكون الأب العنيف مع أبنائه(أطفاله) أو الذي يلقنهم السلوك العنفي لا يصرف وقتاً كافياً في توجيههم وتبصيرهم بدقائق الأمور، بل يختصرها بإصدار الأوامر والتهديدات واستخدام العبارات القاسية والعنيفة والانتقاصة أكثر من المتفهمة والسلسة والموجهة. أي إنه يستلم النقد والتفريض وعدم الاستحسان من أبويه.

هناك دراسة قام بها وليام مكورد 1970 مع زملائه درسوا فيها الأبناء العدوانيين وعلاقتهم بتنشئتهم فوجودا أن 15% منهم من تم تنشئتهم من قبل أبوين عدوانيين و 10% منهم تم تنشئتهم من قبل أبوين غير عدوانيين وأن 10% من الأبناء غير العدوانيين لديهم آباء عدوانيون و18% من الأبناء غير العدوانيين لديهم آباء غير عدوانيين.

استخدم مكورد في دراسته هذه المحكات التالية لقياس علاقة العدوان عند الأبناء بعدوانية الأب وهي:

1- أبناء نشأوا في أسرة يتعامل الأب معهم تعاملاً عقابياً- قصاصياً.

2. فشل الأب في ضبط سلوك أبنائه بشكل مباشر.

3. أب منحرف في سلوكه الاجتماعي.

4. أب غير ودود في تعامله مع أبنائه بل متصارع معهم.

في الواقع لم يجد مكورد علاقة عدوانية الأبناء بالانحدار الطبقي والانتماء الديني والأصول العرقية أو التخصص المهني للأب، إنما لأسلوب الأسرة في تعاملها مع الأبناء أثر كبير من بلورة عدوانيتهم كأن يكون أسلوباً متصارعاً أو مضطرباً أو عدم الاستجابة لطلبات الأبناء وعدم إشباع حاجاتهم الرئيسية اليومية.

ولا جناح من تناول موضوع عنف الأخوة sibling violence كأحد أنواع عنف الأطفال ويفيدنا في هذا الضرب من السلوك ستراوس وزملاؤه في دراستهم عن هذا النوع من العنف 1980إذ وجدوه يتأثر بمتغير نوع الجنس (ذكر أو أنثى) إنما عموماً وحسب ما وجدت الدراسة أن الإناث أقل عنفاً من الذكور داخل الأسرة بغض النظر عما إذا كانوا أخوة أو أخوات لكن مع ذلك هناك تميزاً بينهما بشكل بسيط وهو أن الأسرة التي تضم عدداً من الذكور (الأخوة) وأنثى واحدة (أخت) فإن السلوك العنفي بينهما يكون قليل. لكن إذا كانت الأسرة تضم إناث فقط (أخوات) فإن معدل العنف يكون عندهم أقل من الأسرة التي فيها ذكور معاً (page low,) 1984 p. 348) معنى ذلك أن وجود الإناث في أسرة واحدة يقلل من نسبة العنف فيها إذا ما قورنت النسبة مع أسرة فيها ذكور وإناث معاً. وإذا كانت في الأسرة أخت واحدة فإن وجودها يقلل من نسبة عنف الأخوة من الذكور بينهما. وفي هذا الخصوص أفادنا موراي ستراوس في دراسته المقارنة التي أجراها في عام 1981 قارن فيها بين الأبوين مع أطفالهم وقارن أيضاً الأطفال غير العنيفين مع العينتين. قام بفصل الأبوين عن أفعال أطفالهم وذلك من خلال أربعة محكات وهي:

1. انعدام العنف

2. عقوبة جسدية اعتيادية

3. إيذاء الطفل مرة واحدة أو مرتين في العام.

4. إيذاء الطفل ثلاثة مرات وأكثر.

ثم بعد ذلك قسم ستراوس عنف الأطفال إلى عنف متكرر وهجوم عنيف وقاسٍ على إخوتهم.

кнℓσ∂ ツ

لا جناح من الإشــارة إلى نوع آخــر من عنف الأطفــال ألا وهـو العنف الداخلي inward violence الذي يمارس فيه الطفل عدواناً ضد نفسه انتقاماً أو ثأراً من أحد أفراد أسرته. مثال على ذلك إذا كان أحد الأبوين يحرم ولده أو ابنته من تلبية احتياجاته، فإنه قد يقوم بعمل معاد أو متعارض مع إرشادات والديه له مثل أن يضرب نفسه بدون سبب، أو يمارس اللواط نكاية بأبيه الذي قسى عليه أو حرمه

أشكال منه وليس شكلاً واحداً وهي:

1. العنف الاعتيادي: من أجل التنمر على أقرانه والمشاغبة عليهم.
2. العنف المتماهي: من أجل تقليد شخصية أبية التسلطية.
3. العنف الداخلي: انتقاماً من أحد والديه الذي مارس عليه العنف.
4. عنف الأخوة: المتباين بين الولد والبنت.

انظر شكل رقم –1– يبين لك أشكال عنف الأطفال.

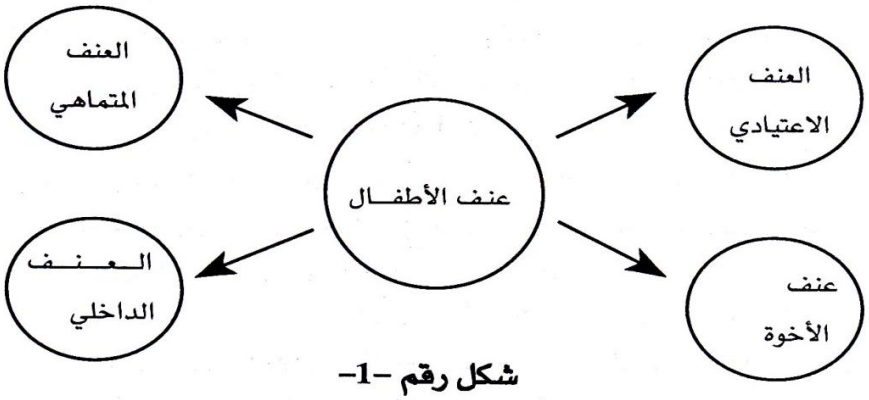

شكل رقم –1–

جـدير بذكـره في هذا المقـام أن الأطفـال في مـرحلة مـا قـبل التـاريخ أو في المجتمعات القديمة لم تكن لهم مكانة اجتماعية تذكر، بل كانت هذه المجتمعات تنظر إليهم على أنهم مخلوقات ضعيفة لا تفيد المجتمع، لذلك كانت تميل إلى تركهم عندما يمرضون أو عندما يولدون مشوهين خلقياً أو عندما يصابوا بمرض مزمن لا يمكن شفائهم حتى يموتوا تلقائياً أو يقتلوهم وكان الأب الشخص الوحيد الذي يقرر

بقاء المولود المشوه أو المريض على قيد الحياة أو موته. حري بنا أن نشير في هذا السياق إلى أن قتل الأطفال كان مقبولاً اجتماعياً ولا يعاب عليه. بل كانت البنات

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستهلال أن أشير إلى أن رحم الأسرة يحمل أنواعاً عديدة من العنف الأسري وهي:

1. عنف الزوج لزوجته
2. عنف الزوجة لزوجها
3. عنف الأم لأبنائها
4. عنف الأب لأبنائه
5. عنف الأبناء لأبويهما أو لأحدهما

6. عنف الأبناء أو الأحفاد (الإهمال) لأجدادهم المعمرين أو لأحدهم، وأن مفهوم العنف يأخذ أشكالاً متباينة إنما هدفه واحد. بتعبير آخر قد يأخذ شكل العنف: سوء المعاملة أو الإهمال أو الضرب أو الإهانة أو جميع ذلك يعني إيذاء من نحب في أسرتنا والتقليل من شأنه أو تحقيره وهذا مخالف لطبيعة العلاقة الودية أو العاطفية أو الدموية، لأنها تتطلب حسن المعاملة أو التودد والإعجاب والملاحظة.

2 /د-1- عنف الأطفال:

من المواضيع البكر وغير المتناولة من قبل الباحثين بشكل بارز وواسع بسبب عدم ذيوعه و انتشاره بين الأفراد في العقود المنصرمة هو العنف عند الأطفال. لكن مع تغير أساليب التنشئة الأسرية والمدرسية التي منحت الطفل حرية سلوكية وتعبيرية بعد أن ابتعدت عن الأساليب العقابية والضبط الصارم من قبل أولياء الأمور والإدارات المدرسية، وتأثرهم بوسائل التسلية الفردية ومشاهدتهم لأفلام خاصة بثقافة الأطفال، كل ذلك عمل على توسيع مداركهم ورؤاهم وحفز دوافعهم وغذى طموحهم وانجذابهم إلى ممارسة الحرية الشخصية والتمتع بها مترافقة مع رفاهية العيش وأساليب التربية الحديثة واشتغال الأم خارج المنزل لفترة أربعين ساعة أسبوعياً، واحتكاك الأطفال في مدن الألعاب ورياض الأطفال والمدن السياحية وسواها بلور عندهم روح المنافسة والدفاع عن النفس وحب التملك (تملك ألعاب أو أدوات تسلية) فأثارت عنده إثبات الذات والتعبير عنها أمام الأطفال الذين يتعامل

خليق بنا أن نشير هذا السياق إلى تأكيدات المسح الذي قال إن عنف الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12-17 عاماً أكثر من عنف الأحداث التي يتراوح أعمارهم بين 18 عام وأكثر بل لا يقل خطورة عن عنف الكبار (finkelhor, 2008,p.93). ذكرنا في سياق حديثنا أن عنف الأطفال يختلف عن عنف الكبار وقولنا هذا لا يعتمد على مجريات الأحداث الإجرامية أو السلوك العنفي الواقعي، فقط بل يرجع إلى الرؤى والتفاسير الأخلاقية والفلسفية وما تؤول إليه اللوائح القانونية القديمة وإلى التعاليم الدينية والنظريات النفسية التي لا تعير أهمية لمعايير المجتمع وتنشئة الأطفال من قبل الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية بسبب تعاطفها مع عمر الطفل، والنظر إليه على أنه أقل دراسة بالتقاليد الاجتماعية ومعاييرها وعقوباتها،

حري بنا أن نشير إلى أن ضحية عنف الأطفال لا تصاب بأذى بالغ أو بجرح خطير أو بكسر في أحد عظام جسمها بل أقل بكثير مما يقع على ضحية عنف الكبار وإزاء بساطة الأذى أو الضرب الذي يقع على الطفل من قبل صديقه الطفل لا يكون القانون صارماً أو حاداً مع الجاني بسبب القصور العمري والعقلي للجاني، ولعدم فداحة الأذى أو خطورته على المجني عليه. إذ أن القانون يأخذ بعين الاعتبار درجة خطورة الأذى الذي لا يكون فادحاً أو خطراً على ضحية عنف الأطفال. وهناك عنصر ثان في احتمالات عنف الأطفال ينطوي على الأخذ بعين الاعتبار بساطة الإصابة وعدم خطورتها لأنها لم تصدر عن أو لم تُبنَ على حقد دفين أو ضغينة مبيته أو بقصد جرمي يحمله الطفل الجاني على الطفل المجني عليه.

ولا جرم من الإشارة في هذا السياق إلى العنصر الثالث الذي ينطوي على مقاومة الضحية للجاني في شجار أو عراك الأطفال تكون ضعيفة، وهذا ما يجعل من مدة شجارهم قصيراً على نقيض شجار الكبار الذي يتضمن مقاومة المجني عليه مما يزيد من مدة شجارهم أو عراكهم.

ولا مشاحة من طرح العنصر الرابع الذي مفاده أن عنف الأطفال يتضمن تدريب وتعليم الأبوين أطفالهم على الدفاع عن أنفسهم عندما يواجهون تحرشاً أو اعتداءً عليهم من قبل الآخرين، أي أن جزءاً من عنف الأطفال يرجع إلى تنشئة الوالدين لهم على ذلك هذا، ولا ننسى أن عنف الأطفال غالباً ما يحصل عرضياً وفجائياً دون سابق تخطيط أو إثارة أو إغاضة من قبل أحدهم على الآخر. ولا ننسى أيضاً أن شعور الطفل بأنه ضحية لعنف جاني لا يأخذ وقتاً طويلاً بل بزوال بزول المؤثر الذي أحدثه، وذلك راجع إلى خضوعه لعدة متغيرات طارئة ومستجدة وغريبة عليه الأمر الذي يتعامل معها بسرعة ويتكيف لها بسهولة تجعله تارة تعيساً وتارة أخرى تجعله يشعر بسعادة وابتهاج، لذا لا يبقى شعوره باقياً عن كونه ضحية لفترة طويلة ولا يطيل من شعوره بالعدوان الذي وقع عليه.

بعد هذا العرض المسهب عن عنف الأطفال سواء أكان ضد أنفسهم أو ضد الآخرين، ننتقل إلى شكل آخر من العنف، إنما لا يقوم به الأطفال أنفسهم تجاه أنفسهم بل عنف الآخرين عليهم مما يتحولون فيه إلى ضحايا الراشدين من أهلهم أو القائمين على تنشئتهم داخل أصغر وأهم خلية اجتماعية (ألا وهي الأسرة) لا جرم بعد هذا التوضيح عن عنف الأطفال أن ندلف إلى طرح بعض المحاولات التنظيرية التي قدمها بعض الباحثين المهتمين به.

إنما يعكس عنف الأبوين على الأطفال في المجتمع الغربي على شكل نماذج تأويلية للسلوك العنفي الذي يمارس داخل الأسرة من قبل الأبوين على الأبناء وهي:

2/د-2- النموذج المرحلي transitional model

طرح وولف 1987 نموذجاً نظرياً وصف فيه الصراع أو الخلاف المتأزم الذي يحصل بين الأبوين وطفلهما مستخدمين فيه الإيذاء الجسدي في معاقبته عندما لا يستجيب لتوجيهاتهم أولا يطيع أوامرهم عندما ينشؤون تنشئة حسب الضوابط الأسرية المرعية، ومع استمرار هذه الحالة تبدأ البنية الأسرية من هذا المنطلق بالتصدع وعدم التوازن في موازينها وقواها.

استطاع وولف أن يبني نموذجه النظري على ثلاث دعائم مرحلية يتبلور فيها العنف الأسري تجاه الأطفال من قبل الأبوين وهي ما يلي:

1. **المرحلة الأولى (مرحلة اضطراب توازن مسؤولية تنشئة الأبوين)** تبرز فيها ضغوط أو عقبات أو مشكلات مالية أو علائقية أو مهنية غير متوقعة، لم يتهيأ لها الأبوان لمواجهتها لكونها حصلت بشكل مفاجئ ودون مقدمات، فتصدمهما لدرجة يكونان فيها غير قادرين على الصمود أمامها فيرتكبان ويضطربان في مواجهتها بحيث تتعبهما وترهقهما نفسياً واجتماعياً وأحياناً

2. **المرحلة الثانية (مرحلة المواجهة الفاشلة)** تبدأ هذه المرحلة من حالة فشل الأبوين فشلاً كبيراً في كيفية مواجهة الصعوبات والأزمات التي تواجههما في مجريات الحياة اليومية وسلوك طفلهما السلبي والعاصي لتوجيهاتهما في مجريات معاً. أي أنهما لا يستطيعان التحكم فيها وتوجيهها لصالحهما على الرغم من أنهم يستخدمان مسؤوليتهما التنشيئية في هذه المواجهة والمعالجة.

وهنا ينظر الأبوان إلى طفلهما على أنه مشاكس وغير مطاوع لهما ويعدانه متحدياً لهم بشكل متعمد ومزدري لأفكارهما وقراراتهما عندئذ يدركوا بأنهما فقدا السيطرة والتحكم على وضعهما الأسري. وإزاء هذا الإدراك يشعران بأن ما حصل في أسرتهما نتج عن سوء معاملتهما في مواجهة هذه الأحداث الضاغطة عليهم وما عليهما إلا أن يتبنيا أسلوباً جديداً في مواجهة ومعالجة الأحداث المتأزمة.

3. المرحلة الثالثة (مرحلة التنافر المتبادل) يظهر في هذه المرحلة لوم الأبوين المتكرر وتأنيبهما لطفلهما الذي لا يستجيب لتوجيهاتهما وضوابطهما التنشيئية بذات الوقت يزداد تذمر الطفل من كثرة تدخل أبويه في سلوكه وطلباته وحريته وشؤونه الخاصة. لا ننسى في هذا الموطن أن نشير إلى ترافق مشاكل مهنية في العمل أو مالية أو علائقية مع هذا التنافر الواضح بين الأبوين وطفلهما في عملية تنشئته مما تضاعف هموم الأبوين وتضيق من وجهة نظرهما وتكرب من مزاجهما لدرجة أنها تجعلهما غير قادرين على رؤية بريق أمل يلوح في أفقهما مما يجعلهما غير قادرين على التحكم في ظروفهما وسلوك ابنها أو ابنتهما السلبي وغير المستجيب لهما. عندئذ

2/ ء- 4- نموذج المعلومات الاجتماعية

بداية لم يخصص هذا النموذج لتنظير الإيذاء الجسدي للطفل بل تم استعارته من أجل الاستعانة به من معرفة العنف الأسري من خلال تجميع معلومات عن معتقدات وقيم الأبوين والبحث عما إذا كان هناك أسلوب أو أساليب مسبقة في معاقبة الأطفال موجودة في الثقافة الاجتماعية لأن ذلك ينفع ويفيد تفسير وتأويل لماذا يستخدم الأبوين السلوك العنفي مع ابنهما في عملية تنشئته. معنى ذلك أنهما يدركا ما يقوما به من إيذاء لابنهما أو لبنتهما. إذن هو مقبول منهما ومن المجتمع واعتباره وسيلة مرشدة وموجهه لسلوك ابنهما نحو أهداف التنشئة الأسرية المقبولة وتمثل بذات الوقت أحد الوسائل النافعة في الامتثال للضوابط الاجتماعية العرفية.

يعرض هذا النموذج أربع مراحل هي:

1. المرحلة الأولى (مرحلة الإدراك والملاحظة) التي تنطوي على تصرف الطفل غير الملم والعارف بما يدور في محيطه الذي يعيش فيه تصرفاً ناقصاً أو خاطئاً الأمر الذي يدفع أحد الأبوين إلى معاقبته واستخدام الإيذاء الجسدي معه، مما يعمل على التشويه وإدراكه لما يدور حوله. أي يحجمان ملاحظاته وإدراكه أو إدراكاته فيجعلانه أقل دراية ومعرفة بالأحداث التي تقع وتحدث أمامه خوفاً من الإيذاء الجسدي الذي قد يستخدمه أبويه. بمعنى أن الطفل يمتلك إدراكات مفتوحة وحيوية وتواقه وطموحه لمعرفة ما يدور حوله من أحداث، وهذا أمر طبيعي وصحي. لكن عندما يقوم الأبوان بمعاقبته لأنه مدفوع بدافع الفضول المعرفي والتعرف على كل شيء موجود حوله فإن منعه أو إيذاءه على فضوله أو طموحه الطبيعي يكون أمراً سيئاً وسلبياً على مستويين: الأول: إيلام الطفل جسدياً، والثاني: تقليص أو تحجيم مداركه

2. المرحلة الثانية: من هذه المرحلة تظهر التأويلات والتقييمات والتوقعات، عندئذ يبدأ الأبوان بمقارنة الإيذاء الجسدي بعدمه أمام عدم امتثال أو مطاوعة الطفل لتوجيهاتهما أو أوامرهما أو ضوابطها بذات الوقت يفسر سلوك طفلهما غير المطاوع معبراً عن تعمده المقصود والعدواني لذا فإنه (أي الطفل) يستحق اللوم، وعند تكراره (أي تكرار سلوكه غير المستجيب لضوابطهما) فإنهما يتوقعان منه بأنه سوف يزيد من عدم استجابته وعدم مطاوعته لهما فيزيدان من إيذائه الجسدي لكي لا يصل إلى ما يتوقعان أن يصل إليه سلوك طفلهما.

3. **المرحلة الثالثة (مرحلة انتقاء الاستجابة)** تفضي هذه المرحلة إلى مقارنة الأبوين حالة الأبوين اللذين لا يستخدمان الإيذاء الجسدي مع طفلهما غير المطاوع لضوابطهما وأوامرهما مع الأبوين اللذين يستخدمانه ويلاحظان الفرق بينهما من أجل مساعدتهما في اتخاذ قرار(الإيذاء أو عدمه) فيما يخص عدم مطاوعة طفلهما لما يأمران به ثم يتعمقان في جمع معلومات عن الوضعية التي لم يطاوع ابنهما لأوامرهما ويقارناها مع الوضعية التي لم يتخذ الأبوان فيها الإيذاء الجسدي مع ابنهم. لكن على الرغم من ذلك فإنهما يهملان المعلومات المهمة ويركزان على التي تميل إلى أيذاء طفلهما جسدياً.

4. **المرحلة الرابعة (مرحلة استجابة التوجيه والإرشاد)** هنا يتطلب معرفة قابلية الأبوان في انتقاء طريقة أو أسلوب جديد لكي يغيروا سلوك طفلهما غير المطاوع فينتقون أسلوب الإرشاد والتوعية والنصائح لأرقاء وتوسيع مدارك طفلهما وتعليمة وسائل توجيهية غير عقابية هادفين من ذلك إزالة كربهم الذي حصل لهم من عدم مطاوعة ابنهم لضوابطهم وأوامرهم ولتعديل سلوكه من عدم المطاوعة إلى المطاوعة.وإذا لم يستخدما هذا الأسلوب، فإن أداءهم التنشيئي يكون فاشلاً ومشوهاً ومتميزاً لاستخدام العنف الأسري مع طفلهم، وهنا لا يحصل علاج أو تصحيح للسلوك المعارض والمشاكس لضوابطهم لأنهم لم يجمعوا معلومات كافية عن الأسباب التي جعلت ابنهم يسلك سلوكاً عاصياً أو متمرداً أو مشاكساً لضوابطهم وأوامرهم وتوجيهاتهم (Milner

وعلى الجملة فإن هذا النموذج يعبر عن ارتباط عدم مطاوعة الطفل في تصرفاته لضوابط وأوامر الأبوين ارتباطاً ميكانيكياً فالأخير يعكس صورة الأول لكن إذا كان الأخير متصلباً في قراراته أو مقلاً في تعمقه لمعرفة جوانب عدم مطاوعة ابنهما، لهم فإن ذلك يؤدي إلى استخدامهما العنف معه وإيذاءه جسدياً. علاوة على ذلك فإن هذا النموذج يوضح حالة اقتداء الأبوين لأبوين آخرين من عنف أبنائهم عندما يقارنون حالتهم مع حالات مشابهة أخرى. معنى ذلك أن إيذاء الطفل جسدياً لا يرجع فقط إلى سبب عدم مطاوعة الطفل لهم بل إلى اقتداء الأبوين لحالات مشابهة تحصل عند أسر أخرى.

لقد عرضنا ما تم تنظيره وتحليله في المجتمع الغربي. بيد أن هناك حالة يتميز بها المجتمع الخليجي العربي عن باقي المجتمعات الأخرى وهي إيذاء الأطفال الخليجيين من قبل المربيات والخادمات الأجنبيات المستقدمات من دول جنوب شرق آسيا واستخدامهم في تربية الأطفال الخليجيين، وللمعلومة أن هذا الاستقدام لا يتم بسبب تخصص فتيات أو نساء جنوب شرق آسيا بتربية الأطفال بشكل علمي أو صحي أو تربوي بل بسبب الترف المالي وعدم التزام الأم الخليجية بدورها التنشيئي الأسري، وعلى الرغم من معرفة الأسرة الخليجية بمضار ومساوئ هذه التربية المهنية إلا أنها تمارس في معظم الأسر الخليجية (مثل اختلاف اللغة والدين والعادات والخلفية الأسرية للمربية وعدم خبرتها في تربية الأطفال- وأحياناً تكون

هذا العنف الجسدي للطفلة لم يصدر من الأبوين بشكل مباشر بل من العاملة المنزلية. تأويلي لهذا الحادث - كباحث اجتماعي- أقول بأن هناك نوعاً جديداً من العنف الأسري يمارسه الأبوان بشكل غير مباشر وتحديداً من قبل الأم مضمونه عدم تحمل الأم الخليجية مسؤوليتها في تربية أطفالها وتوكيلها للعاملة المنزلية الغريبة عنها وعن ثقافتها ودينها ولغتها وهذا يمثل التخلي عن مسؤولية طبيعية لكل أم إلى إنسانة غريبة في طبيعتها عن الطفل المكلفة في تربيته، وإخضاع الطفل لتنشئة خالية من الرباط الأمومي- القرابي الخاص بالأمومة فضلاً عن حرمان الطفل من رعاية الأم وإشعاره بأموميتها علاوة على إخضاع الطفل للعيش في عالمين أو محيطين مختلفين في وقت واحد، وهما عالم العاملة المنزلية الأجنبية في ثقافتها، وعالم الأم المتجردة من أمومتها، كل ذلك يؤول إلى تحويل عاطفة الطفل لغير الأم. في الواقع تبلور هذه الحالة عنفاً جديداً نحو الطفل الذي لا تتضمن الضرب الجسدي أو التجريح اللفظي بل الحرمان العاطفي، وتوهين الرباط الدموي الطبيعي الذي ينشأ منذ تكوينه جنيناً في رحم أمه، وإزاء ذلك أستطيع تسميته (بالعنف الأمومي الذي لا يأخذ الضرب بل الإيذاء الرباطي الذي يأخذ شكل عدم الالتزام بالرباط الدموي المؤدي فيما بعد إلى وهن في التماسك الأسري واقرب إلى التفكك الأسري بسبب هبوط حرارة العلاقات الأسرية، أعني البرود والفتور وعدم التشوق واللامبالاة وعدم الحرص. فهو إذن عنف علائقي يؤذي تماسك الأسرة وعاطفة الطفل وتعلقه الأسري الذي نتج عن عدم التزام الأم الخليجية بأمومتها.

<u>تدريبات</u>

اشرح نموذج المعلومات الاجتماعية لتأويل السلوك العنفي داخل الأسرة؟

اشرح النموذج المرحلي لتأويل السلوك العنفي داخل الأسرة؟

وضح أشكال عنف الأطفال؟